تعليقات فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

على كتاب

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان

للإمام ابن القيم رحمه الله

«الشريط الخامس عشر»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

قال المؤلف رحمه الله تعالى: الباب الثامن: في زكاة القلب

الشيخ: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

القلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسدكله وإذا فسدت فسد الجسد كله، فيجب على المسلم أن يعتني بما يصلح قلبه، ويجتنب ما يفسد قلبه، والقلب يصلح بذكر الله﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨] فيكثر من ذكر الله ليحيي قلبه؛ وكذلك القلب يحيا بالطاعات من أداء الفرائض والنوافل؛ وكذلك القلب يحيا بالإكثار من تلاوة القرآن والتدبر والعناية به؛ وكذلك القلب يحيا بمجالسة الصالحين والأخيار الذين يُذكرون بالله عز وجل، والقلب أيضا في مقابل ذلك يمرض بفتنة الشبهات والشهوات.

يمرض بفتنة الشبهات مثل: الشكوك والوساوس والأوهام والخواطر، والخواطر السيئة وكذلك فتنة الشهوات بالمعاصي والزنا والسرقة وشرب الخمر واتباع الشهوات المحرمة، فلذلك حرم الله أشياء من المشتهيات حماية للقلب فيتجنبها المسلم لأجل أن يسلم قلبه، والسمع والبصر كلها منافذ للقلب.

فيجب على المسلم أن يستعمل بصره فيما ينفعه، ما يفيده وألا يطلقه في النظر إلى ما حرم الله؛ وكذلك السماع ما يسمع بأذنيه إلا ما يحيي قلبه فيتجنب سماع ما يميت القلب أويمرضه من الغيبة والنميمة والشتم والسباب؛ وكذلك سماع الأغاني والمزامير، كل هذه تمرض القلب وهي تأتي عن طريق السمع ولهذا قال﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦] فالمسلم يعتني بقلبه وما يصلحة.

كذلك من أهم ما يصلح القلب أكل الحلال أكل الطيبات الحلال وتجنب المآكل المحرمة والمشارب المحرمة، في الحديث«ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ:

يَارَبِّ! يَارَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟».

فالمآكل الطيبة المباحة تطهر القلوب والمآكل الخبيثة تمرض القلوب، القلب يمرض كما يمرض البدن، فإذا اشتد به المرض يموت فإذا مات القلب فلا فائدة في البدن، ولذلك يعتني المسلم بقلبه وما يصلحه وما يحييه ويتجنب ما يضر قلبه ويعميه، قال تعالى﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦]

هذه أمور مهمة للعبد أن يعتني بقلبه وما يصلحه ويحييه، ويتجنب ما يمرض قلبه ويميته، قال الله جل وعلا في المنافقين﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠] مرض شبهات، مرض الشكوك والأوهام، هذا مرض المنافقين﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾.

المتن: الباب الثامن في زكاة القلب.

الزكاة في اللغة: هي النماء والزيادة في الصلاح، وكمال الشيء، يقال: زكا الشيء إذا نما.

الشيخ: الزكاة تطلق ويراد بها النماء والزيادة، يقال زكا الزرع إذا نما، وتطلق ويراد بها الطهارة من النجاسة الحسية والمعنوية.

المتن: قال الله تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]

الشيخ: تطهرهم من البخل والشح وتزكيهم: تنمي الخير فيهم وتنمي المال.

المتن: قال الله تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾

الشيخ: من أموال المسلمين، والزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام وهي قرينة الصلاة في كتاب الله، وذكر الحكمة فيها أنها تطهرهم وتزكيهم، هذه هي الحكمة في الزكاة، وهذه الصدقة، صدقة أي الزكاة فالزكاة تسمى صدقة﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ [التوبة: ٦٠] يعني الزكاة.

المتن: قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ فجمع بين الأمرين: الطهارة والزكاة، لتلازمهما.

الشيخ: الطهارة والزكاة التي هي النماء والزيادة يحصل لهما الأمران إذا دفعوا الزكاة، يحصل لهما الأمران الطهارة، ونماء أموالهم وسلامتها.

المتن: فجمع بين الأمرين: الطهارة والزكاة، لتلازمهما، فإن نجاسة الفواحش والمعاصي في القلب بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن، وبمنزلة الدغل في الزرع، وبمنزلة الخبث في الذهب والفضة والنحاس والحديد، فكما أن البدن إذا استفرغ من الأخلاط الرديئة تخلصت القوة الطبيعية منها فاستراحت، فعملت عملها بلا معّوق ولا ممانع، فنما البدن، فكذلك القلب إذا تخلص من الذنوب بالتوبة فقد استفرغ من تخليطه، فتخلصت قوة القلب وإرادته للخير، فاستراح من تلك الجواذب الفاسدة والمواد الرديئة، زكا ونما، وقوى واشتد.

الشيخ: الناس يعتنون بالأبدان ويعالجون الأبدان بالأدوية، أنواع الأدوية والذهاب إلى الأطباء لكن قليل منهم من يعتني بالقلب، القلب يمرض ولا يلتفت له، والبدن إذا مرض أسرع إلى الطبيب وإلى أخذ الأدوية.

المتن: فكذلك القلب إذا تخلص من الذنوب بالتوبة فقد استفرغ من تخليطه، فتخلصت قوة القلب وإرادته للخير، فاستراح من تلك الجواذب الفاسدة والمواد الرديئة.

الشيخ: والقلب إذا مرض له علاج ميسر بيدك تقدر عليه وذلك بالتوبة، التوبة تطهر القلب وتنميه وإذا لم يتب فإن هذه المعصية تعمل في القلب كما يعمل الجرح في القلب حتى تتطور لأنها أُهملت ولم تُعالج فتطورت حتى ربما تقتل صاحبها، فيجب على المسلم أن يعتني بقلبه، والعناية بالقلب ميسرة لا مثل البدن؛ ربما تسافر للخارج وللأطباء في العالم وقد تُوفق وقد لا تُوفق لكن القلب علاجة ميسر عندك، بيدك التوبة إلى الله إذا أذنبت، الإستغفار، الإكثار من ذكر الله، هذا ميسر والحمد لله، فلا يحتاج إلى أسفار ولا يحتاج إلى كلفة وتعب.

المتن: فاستراح من تلك الجواذب الفاسدة والمواد الرديئة، زكا ونما وقوي واشتد، وجلس على سرير ملكه، ونفذ حكمه في رعيته.

الشيخ: نعم لأن القلب مثل الملك في البدن، كل البدن يخضع له، كل البدن والأعضاء تخضع للقلب فهوالذي يدبرها ولذلك قال الرسول ﷺ "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" فإذا صلح الملك صلحت الرعية وإذا فسد الملك فسدت الرعية، الناس على دين ملوكهم كما يقولون.

المتن: فجلس على سرير ملكه، ونفذ حكمه في رعيته، فسمعت له وأطاعت، فلا سبيل له إلى زكاته إلا بعد طهارته

الشيخ: ولذلك ورد أن الجوارح كل يوم تُكفر القلب يعني توبخة، تقول كل يوم اتق الله فينا، فإذا استقمت استقمنا وإذا اعوججت اعوججنا.

المتن: فلا سبيل له إلى زكاته إلا بعد طهارته كما قال تعالى:﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠] فجعل الزكاة بعد غض البصر وحفظ الفرج.

الشيخ: أمر بغض البصر، ماقال كفوا أبصاركم ولا تفتحوها ؟ لا، قال﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ يعني ما يستعملونها إلا فيما ينفعهم فينظرون إلى الأشياء المباحة والأشياء النافعة وفي الإعتبار، ويغضوها عن الحرام، ما قالك غمض أو احزم عيونك لا، قال غض من بصرك يعني لا تمده إلى ما حرم الله، وتنظر إلى ما حرم الله.

وذكر النتيجة، ما هي نتيجة غض البص؟﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ يعني أطهر لقلوبهم، غض البصر تُطهر القلوب.

المتن: كما قال تعالى:﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

الشيخ: الفرج يفسد بسبب النظر، أولا النظر، ثم يتطور الأمر إلى الفرج والحرام بسبب النظر، ما وقع كثير من الناس في الزنا إلا بسبب إطلاق النظر إلى الأشياء التي تفتن أبصارهم وتتعدى

إلى قلوبهم﴿يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ فالذي يريد أن يحفظ فرجه يغض بصره حتى لا يؤثر في نفسه وفي قلبه فيقع في الفاحشة﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾، ثم قال﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فأنت إذا نظرت إلى المحرمات فالله يراك ويعلم ما يحصل منك وسيجازيك في الدنيا والآخرة على نظرك المحرم، واليوم المناظر الخبيثة كثيرة، تبرج النساء والاختلاط، والنظر في هذه الآلات أو المواقع المستحدثة التي تعرض فيها الأشياء الفاتنة ينظر إليها، فأسباب الفتنة اليوم كثيرة، فعلى المسلم أن يحفظ نفسه منها ويبتعد عنها ويخرجها من بيته، هذه الوسائل الخبيثة يخرجها من بيته وإلا إنها ستقضي عليه وعلى أولاده، التويترات والإنترنت والبلاوي هذه شيء لا أعرفه لكن فضائح ظهرت على الناس.

المتن: قال تعالى:﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فجعل الزكاة بعد غض البصر وحفظ الفرج.

الشيخ: نعم غض البصر سبب لحصول الزكاة وهي الطهارة، الطهارة للقلب والخلق والعمل، ثم أمر المؤمنات﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١] فالمرأة مأمورة بما أُمر به الرجل من غض بصرها وحفظ فرجها، فإذا غضت بصرها حفظت فرجها وإذا أطلقت بصرها قادها إلى الفاحشة وإلى فساد الخلق، نظرة فابتسامة فموعد فلقاء هكذا تدرج، فلا تتساهل في النظر في هذه الأمور، لا تتساهل أنت تجرح قلبك بهذا النظر، ولهذا ورد في الحديث« إنَّ النّظر سَهم مسمُوم من سِهام إبْليس» سهم يعني قذيفة أين تذهب؟ تذهب لقلبك، فأنت ترمي قلبك بالسهم، سهم مسموم من سهام إبليس، لا تتساهل بالنظر هذا، وليس مقصور على الذهاب إلى لأسواق والنظر إلى النساء؛ بل اليوم عم الشر في هذه الوسائل التي تعرض لك المناظر الخبيثة والمناظر الفاسدة توفرها لك.

المتن: وجعل الزكاة بعد غض البصر وحفظ الفرج، ولهذا كان غض البصر عن المحارم.

الشيخ: يعني المحرمات؛ ماهو بغض النظر عن المحارم يعني محارم الإنسان من النساء مثل أخواته وبناته؟ لا، المراد بالمحارم هنا المحرمات.

المتن: ولهذا كان غض البصر عن المحارم يوجب ثلاث فوائد عظيمة الخطر، جليلة القدر: إحداها: حلاوة الإيمان ولذته.

الشيخ: لأن من غض بصره فإن هذا يؤثر في قلبه حلاوة الإيمان،﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ وهذا يزيد في الإيمان وتجد به حلاوة في قلبك ولذة في قلبك تتمتع بها، كما أن النظر إلى الحرام يزرع في قلبك الشهوة فتجد في قلبك المرض، وتجد في قلبك المرارة.

المتن: إحداها: حلاوة الإيمان ولذته التي هي أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصره عنه وتركه لله.

الشيخ: يعوضك الله إذا صرفت بصرك عن هذه الشهوة المحرمة، عوضك الله بها في الجنة أزواجا ومناظر بهية ونعيما، وعوضك في الدنيا أيضا يرزقك زوجة صالحة، زوجة جميلة، بدل ما إنك تتابع النساء وتتطاردهم، فإذا غضضت بصرك عوضك الله من النساء ما تتلذذ به في الحلال.

المتن: إحداها: حلاوة الإيمان ولذته التي هي أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصره عنه وتركه لله.

الشيخ: حلاوة الإيمان.

المتن: فإن من ترك شيئا لله عوضه الله عز وجل خيرا منه، والنفس مولَعة بحب النظر إلى الصور الجميلة.

الشيخ: طبيعة في النفس حب النظر إلى الصور الجميلة.

المتن:والنفس مولعة بحب النظر إلى الصور الجميلة، والعين رائد القلب، فيبعث رائده لنظر ما هناك، فإذا أخبره بحسن المنظور إليه وجماله، تحرك اشتياقا إليه، وكثيرا ما يتعب ويُتعب رسوله ورائده كما قيل:

وَكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لِقلبكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ

رَأَيْتَ الذي لا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْه وَلا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابرُ

الشيخ: مصيبة

رَأَيْتَ الذي لا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْه وَلا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابرُ

لا حيلة لك في هذا، لكن تؤثر على قلبك.

المتن: وقيل:

وَكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لِقلبكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ

رَأَيْتَ الذي لا كُلَّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْه وَلا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابرُ

الشيخ: تتعلق به تمشي وراءة، ما تصبر عنه، فإذا رأى امرأة جميلة صار يمشي وراءها ويتابعها إلى أن يدرك منها ما يريد.

المتن: فإذا كف الرائد عن الكشف والمطالعة استراح القلب من كلفة الطلب والإرادة، فمن أطلق لحظاته دامت حسراته، فإن النظر يولد المحبة، فتبدأ علاقة يتعلق بها القلب بالمنظور إليه، ثم تقوى فتصير صبابة ينصب إليه القلب بكليته، ثم تقوى فتصير غراما يلزم القلب كلزوم الغريم الذي لا يفارق غريمه، ثم يقوى فيصير عشقا وهو الحب المفرط، ثم يقوى فيصير شغفا، وهو الحب الذي قد وصل إلى شَغاف القلب وداخله، ثم يقوى فيصير تتيماً، والتتيم التعبد ومنه تيَّمه الحب إذا عَبَّده، وتيم الله عبد الله، فيصير القلب عبدا لمن لا يصلح أن يكون هو عبدا له، وهذا كله جناية النظر.

الشيخ: هذه درجات المحبة، المحبة عشر درجات، أعلاها الخُلة.

المتن: وهذا كله جناية النظر، فحينئذ يقع القلب في الأسر، فيصير أسيرا بعد أن كان ملكا، ومسجونا بعد أن كان مطلقا، يتظلم من الطرْف ويشكوه، والطرْف يقول: أنا رائدك ورسولك، وأنت بعثتني.

وهذا إنما تُبلى به القلوب الفارغة من حب الله والإخلاص له، فإن القلب لا بد له من التعلق بمحبوب، فمن لم يكن الله وحده محبوبه وإلهه ومعبوده فلا بد أن يتعبد قلبه لغيره.

الشيخ: الإنسان عبد بلا شك، فإما أن يكون عبدا لله وإما أن يكون عبدا لغيره، ما يخرج عن العبودية، فإذا كان عبدا لله صار مخلصا لله، وإذا كان عبدا لغيره صار مشركا.

المتن: فمن لم يكن الله وحده محبوبه وإلهه ومعبوده فلا بد أن يتعبد قلبه لغيره قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام:﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤]

الشيخ: يوسف عليه السلام ابتلي بامتحانات، منها أنه صار في بيت الملك ومع زوجته وقد أعطاه الله من الجمال مالم يعطه لغيره، فافتتنت به امرأة الملك وراودته عن نفسه؛ لكنه استعصى، أبى، قال﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: ٢٣]﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ﴾ لولا أن رأى برهان ربه لهم بها؛ ولكن رأى برهان ربه فصرفه عنها﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ﴾ السبب ماهو؟﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أخلص الحب لله عزوجل وطاعة الله، فالله خلصه من هذه الفتنة، وفي النهاية﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾[يوسف: ٥١ – ٥٢] فنجح عليه الصلاة والسلام وانتصر.

المتن: فامرأة العزيز لما كانت مشركة وقعت فيما وقعت فيه، مع كونها ذات زوج، ويوسف عليه السلام لما كان مخلصا لله تعالى نجا من ذلك.

الشيخ: امرأة العزيز لأنها مشركة وقعت فيما وقعت فيه من محاولة الوقوع في الفاحشة لأنها مشركة، وأما يوسف عليه السلام لما كان مخلصا لله نجا من الفاحشة، سلم منها؛ لكن بعد الإمتحان، هذه محنة شديدة.

المتن: فامرأة العزيز لما كانت مشركة وقعت فيما وقعت فيه، مع كونها ذات زوج، ويوسف عليه السلام لما كان مخلَصا لله تعالى نجا من ذلك مع كونه شابا عزَبا غريبا مملوكا.

الشيخ:﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ ﴿٢٣﴾﴾ كل شيء من أسباب الفتن، الأسباب كلها أمامه، الأبواب مُغلقة، والمرأة جميلة ومتزينة، وامرأة

ملك، تطلب منه وهي سيدته، ومع هذا أبى عليه الصلاة والسلام، خلصه الله منها لأنه موحد لله عز وجل.

المتن: الفائدة الثانية في غض البصر نور القلب وصحة الفراسة .

الشيخ: يعني من فوائد غض البصر.

المتن: الفائدة الثانية في غض البصر نور القلب وصحة الفراسة.

الشيخ: فإن من غض بصره فإنه يستنير قلبه ويصح فراسته وتوقعه.

المتن: نور القلب وصحة الفراسة، قال أبو شجاع الكرماني: **"من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وكف نفسه عن الشهوات، وغض بصره عن المحارم، واعتاد أكل الحلال لم تخطئ له فراسة"**

الشيخ: الفراسة توقع الأشياء وتأتي كما توقعها.

المتن: وقد ذكر الله سبحانه قصة قوم لوط وما ابتلوا به، ثم قال بعد ذلك:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحجر: ٧٥]

الشيخ:﴿ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ المتفرسين في الأشياء، المستنبطين للأشياء.

المتن:ثم قال بعد ذلك:﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ وهم المتفرسون الذين سلموا من النظر المحرم والفاحشة.

الشيخ: وأما قوم لوط فإنما أوقعهم فيما أوقعهم النظر، أنهم ينظرون إلى الغلمان وإلى الشهوات فوقعوا فيها، ولذلك لما جاءت رسل الله لإهلاكهم، الملائكة معهم، جبريل لما جاءوا لإهلاكهم؛ جاءوا يريدون الملائكة، لأن الملائكة جاءوا في صور جميلة، فجاءوا يريدون الملائكة، يراودون لوطا عن ضيفه، يريدونهم ليقعوا فيهم، فما كان جبريل عليه السلام إلا أن لطمهم بجناحة، فطمست أبصارهم صاروا ما يرون شيء،﴿ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ﴾ [القمر: ٣٧] ضربة عليه السلام أعمتهم، هذه عقوبة لهم والعياذ بالله، هذه الأبصار المرسلة في الفواحش، الله عاقبهم وسلبها

منهم،﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾ لأن الأعين هي السبب فطمسها الله سبحانه وتعالى.

المتن: وقال تعالى عَقيب أمره للمؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

الشيخ: لما ذكر غض البصر للرجال والنساء والفروج قال﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ﴾ هذا مثال للنور المخلوق، الله جل وعلا اسمه النور، ومن أسماءه النور وصفاته النور، هذا نور الذات، وأما نور السماوات والأرض مخلوق لله عز وجل، الله خلق نور السماوات ونور الأرض، نور المخلوق،﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ هذا نور المخلوق، لأن نور الله الذي هو صفته لا يُمثل ولا يُشبه، فهذا النور المخلوق الذي خلقه الله، والمراد به الإيمان الذي يكون في قلب المؤمن﴿ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾لأن المصابيح في ذاك الوقت توقد من زيت الزيتون﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بين الجهتين لا هي شرقية فقط واضحة للشمس، ولا غربية فقط، بل هي بين بين، هذا أصفى ما يكون من زيت الزيتون، ثم قال﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦] وهي المساجد، المساجد مصدر النور، مصدر الإيمان،﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾

المتن: وقال تعالى عَقيب أمره للمؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم:﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] وسر هذا الخبر: أن الجزاء من جنس العمل، فمن غض بصره عما حرم الله عز وجل عليه عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خير منه، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه.

الشيخ: نعم نور الله قلبه حتى صار كالمصباح، كالمشكاة التي فيها مصبح، المشكاة: الكُوَّة يعني، إذا كان فيها مصباح فإنها تجمع النور، ما يتفرق النور يصير أقوى، هذا صدر المؤمن وقلب المؤمن، يصير فيه نور مثل هذا بسبب غض البصر وحفظ الفرج.

المتن: فكما أمسك نور بصره عن المحرمات أطلق الله نور بصيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله تعالى، وهذا أمر يحسه الإنسان من نفسه، فإن القلب كالمرآة، والهوى كالصدأ فيها، فإذا خلصت من الصدأ انطبعت فيها صورة الحقائق كما هي عليه، وإذا صدئت لم ينطبع فيها صور المعلومات، فيكون علمه وكلامه من باب الخرص والظنون.

الفائدة الثالثة: قوة القلب وثباته وشجاعته.

الشيخ: الفائدة الثالثة من فوائد غض البصر.

المتن: الفائدة الثالثة: قوة القلب وثباته وشجاعته، فيعطيه الله تعالى بقوته سلطان النصرة، كما أعطاه بنوره سلطان الحجة، فيجمع له بين السلطانين، ويهرب الشيطان منه، كما في الأثر: "**إِنَّ الذي يُخَالِفُ هَوَاهُ يَفْرَقُ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ**".

ولهذا يوجد في المتبع هواه من ذل النفس وضعفها ومهانتها ما جعله الله لمن عصاه، فإنه سبحانه جعل العز لمن أطاعه والذل لمن عصاه، قال تعالى﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[المنافقون: ٨] وقال تعالى:﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]

الشيخ: بهذا الشرط، إن كنتم مؤمنين فأنتم الأعلون.

المتن: وقال تعالى:﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]

السيخ: إن كنت تريد العزة إطلبها من الله، لأن العزة بيد الله سبحانه وتعالى، يعز من يشاء ويذل من يشاء

المتن: وقال تعالى:﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي من كان يطلب العزة فليطلبها بطاعة الله: بالكلم الطيب، والعمل الصالح.

الشيخ:﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ إذا كنت تريد العزة فاطلبها من الله بالكلام الطيب وبالعمل الصالح.

المتن: وقال بعض السلف:"**الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله**".

الشيخ: ما يجد العزة الصحيحة إلا في أبواب المساجد، ما تجدها في أبواب الملوك، فإذا كنت تريد العزة فعليك بالمساجد، لا تروح لأبواب الملوك.

المتن: وقال الحسن:"**وإن هَمْلَجَتْ بهم البراذين، وطقطقت بهم البغال**"

الشيخ: الحسن البصري يقول إن الملوك وإن نالوا من هذه الدنيا ما نالوا ماداموا على غير طاعة الله فإن ذل المعصية في قلوبهم، وهم مظاهرهم فخمة لكن هم أذلاء في قلوبهم، وصاحب الطاعة عزيز وإن كان في ثياب رثة وفي مظهر دون؛ لكن قلبه – الكلام على القلب لا على مظهرة– تجده عزيزا وإن لم يكن بيده شيء، تجده مطمئنا، تجد وجهه مستنيرا، مرتاحا، وذاك مهموم، الملك اللي ما مؤمن مهموم، وإن كان في مظهر بهي وفي أبهه، ذل المعصية في قلبه، وذا عز الطاعة في قلبه، فرق بين هذا وهذا.

المتن: وقال الحسن:"**وإن هَمْلَجَتْ بهم البراذين، وطقطقت بهم البغال إن ذل المعصية لفي قلوبهم، أبى الله عز وجل إلا أن يُذِلَّ من عصاه، وذلك أن من أطاع الله تعالى فقد والاه، ولا يذل من والاه ربه**".

الشيخ:"إِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ".

المتن:"وذلك أن من أطاع الله تعالى فقد والاه، ولا يذل من والاه ربه كما في دعاء القنوت:"إِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ".

الشيخ: وهذا الدعاء حديث وارد عن الرسول ﷺ، علَّمه لسبطه الحسن.

المتن: والمقصود: أن زكاة القلب موقوفة على طهارته، كما أن زكاة البدن موقوفة على استفراغه من أخلاطه الرديئة الفاسدة، قال تعالى:﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١]

الشيخ: هذه خطوات الشيطان، من اتبعها فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر.

المتن:﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢١﴾ [النور: ٢١] وذكر ذلك سبحانه عقيب تحريم الزنا والقذف ونكاح الزانية.

الشيخ: كما في سورة النور﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [النور: ٣]

المتن: وذكر ذلك سبحانه عقيب تحريم الزنا والقذف ونكاح الزانية، فدل على أن التزكي هو باجتناب ذلك، وكذلك قوله تعالى في الاستئذان على أهل البيوت﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ﴾ [النور: ٢٨]

الشيخ: يعني رجوعكم أزكى لكم يعني أطهر.

المتن:﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٢٨﴾ فإنهم إذا أمروا بالرجوع لئلا يطلعوا على عورة لم يجب صاحب المنزل أن يُطَّلع عليها كان ذلك أزكى لهم، كما أن رد البصر وغضه أزكى لصاحبه، وقال تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلى: ١٤ – ١٥]

الشيخ: تزكى يعني تطهر بالطاعة،﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ هذه مزكيات المسلم.

المتن: وقال تعالى عن موسى عليه السلام في خطابه لفرعون:﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [النازعات: ١٨]

الشيخ: قال في خطابه لفرعون لما أرسله الله إليه وهو جبار عنيد، إدعي الربوبية، ما قاله له أنت خبيث، أنت كافر، أنت ، أنت، قال له﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ يعرض عليه عرض، يعني تتطهر﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾[النازعات: ١٨ – ١٩] ما يقع بالقوة والقصر لأن الله قال﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه: ٤٤] فاللذين يغلظون على العصاة ما يصلح هذا تأتيهم بالدعوة إلى الله﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥] هذا سبيل الدعوة، موسى عليه السلام أمره الله بذلك.

المتن: وقال تعالى:﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦ – ٧] قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: هي التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله.

الشيخ: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المراد بها زكاة التوحيد، المشرك ما عليه زكاة ولو دفع الزكاة ما تنفعه حتى يسلم؛ لكن المراد بالزكاة هنا زكاة التوحيد ﴿لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يعني لا يوحدون الله ولا يعبدونه، لأنها تزكيهم وتطهرهم.

المتن: قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: هي التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان الذي به يزكو القلب، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وذلك طهارته، وإثبات إلهيته سبحانه؛ وهو أصل كل زكاة ونماء، فإن التزكي- وإن كان أصله النماء والزيادة والبركة- فإنما يحصل بإزالة الشر.

الشيخ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٧ - ١٠] من زكَّى نفسه، زكاها بأي شيء؟ بالطاعة، طهرها من دنس المعاصي والشرك والكفر إلى الطاعة والتوحيد والعبادة، هذه تزكيتها.

المتن: فلهذا صار التزكي ينتظم الأمرين جمعياً.

الشيخ: الزكاة تطلق ويراد بها زكاة النفس بالطاعة، وتطلق ويراد بها زكاة البدن، كيف زكاة البدن؟ زكاة البدن بدفع صدقة الفطر، زكاة الملال.

الزكاة ثلاثة أنواع:

- زكاة النفس
- زكاة البدن
- زكاة المال

المتن: فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وذلك طهاره، وإثبات إلهيته سبحانه هو أصل كل زكاة ونماء، فإن التزكي- وإن كان أصله النماء والزيادة والبركة- فإنما يحصل بإزالة الشر، فلهذا صار التزكي ينتظم الأمرين جميعا، فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح هو التوحيد: والتزكية جعل الشيء زكيا، إما في ذاته، وإما في الاعتقاد والخبر عنه، كما يقال: عدَّلته وفسَّقته، إذا جعلته كذلك في الخارج، أو في الاعتقاد والخبر، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢﴾ [النجم: ٣٢] هو على غير معنى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٩]

الشيخ: تزكية النفس مأمور بها ومنهي عنها، كيف؟

- مأمور بها: تزكيها بالطاعة والعبادة.
- ومنهي عنها: بالمدح، تمدح نفسك وتكمل نفسك، هذا ما يجوز.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ يعني اليهود ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: ٤٩]

﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾ تزكية النفس بالطاعة وذكر الله هذا مطلوب، أما تزكيتها بالمدح والثناء والترفع عن الناس فهذا مذموم.

المتن: وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢] هو على غير معنى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾﴾ [الشمس: ٩] أي لا تخبروا بزكاتها وتقولوا: نحن زاكون صالحون متقون، ولهذا قال عقيب ذلك: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢] وكان اسم "زينب" "برة" فقال: "تُزَكِّي نَفْسَهَا؟" فسماها رسول الله ﷺ "زينب" وقال: "اللهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ" وكذلك قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ أي يعتقدون زكاءها ويخبرون به، كما يزكى المزكي الشاهد، فيقول عن نفسه ما يقول المزكى فيه، كما قال الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ أي هو الذي يجعله زاكيا، ويخبر بطاعة الله فيصير زاكياً، وهذا بخلاف قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾﴾ فإنه من باب قوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ أي تعمل بطاعة الله تعالى، فتصير زاكيا، ومثله قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾

وقد اختلف في الضمير المرفوع في قوله: زكاها فقيل: هو الله أي أفلحت نفس زكاها الله عز وجل، وخابت نفس دساها، وقيل: إن الضمير يعود على فاعل أفلح، وهو "مَن" سواء كانت موصولة أو موصوفة.

الشيخ: يعني يكون من زكاها صاحبها.

المتن: وقيل: إن الضمير يعود على فاعل أفلح، وهو "مَن" سواء كانت موصولة أو موصوفة فإن الضمير لو عاد على الله سبحانه لقال: قد أفلح من زكاه وقد خاب من دساه.

الشيخ: هذا بحث نَحَوي من جهة النحو.

المتن: والأولون يقولون "مَن" وإن كان لفظها مذكرا.

الشيخ: الأولون يعني من النحويين.

المتن: والأولون يقولون "مَن" وإن كان لفظها مذكرا فإذا وقعت على مؤنث جاز إعادة الضمير عليها بلفظ المؤنث، مراعاة للمعنى، وبلفظ المذكر مراعاة للفظ، وكلاهما من الكلام الفصيح، وقد وقع في القرآن اعتبار لفظها ومعناها، فالأول كقوله:﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [محمد: ١٦] فأفرد الضمير، والثاني كقوله:﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٤٢]

الشيخ: يعني (مَن) تحت الفرد والجماعة؛ ولذلك تارة يعود الضمير إليها مفردا، وتارة يعود إليها مجموعا، باعتبار معناها.

المتن: قال المرجحون للقول الأول: يدل على صحة قولنا: ما رواه أهل السنن من حديث ابن أبي مليكة عن عائشة رضى الله عنها قالت: أتيْتُ لَيْلَةً، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ يقُولُ: "رَبِّ أَعْطِ نَفْسِى تَقْوَاهَا، وزَكِّهَا، أنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا" فهذا الدعاء كالتفسير لهذه الآية.

الشيخ: أن المزكي هو الله.

المتن: فهذا الدعاء كالتفسير لهذه الآية وأن الله تعالى هو الذي يزكى النفوس فتصير زاكية، فالله هو المزكي.

الشيخ:﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾

المتن: فتصير زاكية، فالله هو المزكي.

الشيخ: يجمع بين الأمرين فالمزكي يكون هو الله هذا هو الأصل، ويكون هو صاحب النفس.

المتن: فالله هو المزكي، والعبد هو المتزكي، والفرق بينهما فرق ما بين الفاعل والمطاوع، قالوا: والذي جاء في القرآن من إضافة الزكاة إلى العبد إنما هو بالمعنى الثاني، دون الأول كقوله:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ وقوله:﴿هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾أي تقبل تزكية الله تعالى لك، فتتزكى؟ قالوا: وهذا هو الحق فإنه لا مفلح إلا من زكاه الله تعالى. قالوا: وهذا اختيار ترجمان القرآن ابن عباس، فإنه قال في رواية على بن أبي طلحة وعطاء والكلبي: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى الله تَعَالَى نَفْسَه" وقال ابن زيد: "قَدْ أَفلَحَ مَنْ زَكَّى الله تعالى نَفْسَهُ" واختاره ابن جرير.

قالوا: ويشهد لهذا القول أيضا قوله في أول السورة: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨]

قالوا: وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه خالق النفس وصفاتها، وذلك في معنى التسوية.

الشيخ: هذا بحث نحوي يكفي أن نقف فيه على هذا.